



إبَارشِيَّة جَنُوبِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْآمَرِيكِيَّةِ الرَّسَالَةُ الشَّهْرِيَّةُ لِلرَّهْبَانِ وَالرَّاهِبَاتِ وَالْمَكْرَسِينَ وَالْمَكْرَسَاتِ نُوفَمْبَر ٢٠١٧

أبنائي وبناتي الأعزاء،

في هذا الشهر من العام الماضي، تطرقنا في الشرح بعض الشيء إلى النذور الرهبانية الثلاثة. كما تناولنا الطاعة وناقشناها في ضوء كتاب "السُّلْمُ إلى الله"، ولكن هذه المرة أود أن أؤكد أكثر على أهمية الطاعة في المجتمع الرهباني.

هل تساءلت يوماً لماذا نأخذ، على وجه التحديد، هذه النذور الثلاثة؟! ولماذا لهذه الثلاثة نذور أهمية خاصة في دعوتنا الرهبانية؟!

عندما بدأ ربنا يسوع المسيح خدمته، حاول الشيطان أن يجربه بثلاثة أشياء: "سَهْوَةُ الْجَسَدِ، وَسَهْوَةُ الْعْيُونِ، وَتَعَطُّمُ الْمَعِيشَةِ" (١يو٢: ١٦). ونحن كرهبان نتبع خطى سيدنا، نختار أيضاً أن نزهد في "كُلِّ مَا فِي الْعَالَمِ"، ونبدأ رحلتنا بأن نموت ونقوم كل يوم في جهادنا المستمر للوصول إلى هدفنا النهائي. هذه النذور الثلاثة هي بداية جهادنا، وهم الوسيلة التي نقتدي بها في خلال رحلة دعوتنا. الطاعة، في جوهرها، هي إنكار كامل لمشيئتنا. وهذا يعني، ببساطة، أننا عندما نعصي، أو لا نطيع، نسقط في الكبرياء ومحبة الذات، ونفعل ما تمليه عليه مشيئتنا. وبالتالي، فعندما نختار أن نسلك حسب مشيئتنا، فإننا إما نفقد الفرصة في العمل على إقتناء الطاعة، أو نسلك بعصيان صريح.

في كتاب "طريق النُّسَاك" يتحدث الكاتب تيتو كولياندر عن أهمية كبح جماح رغبتنا في الاعتماد على أنفسنا. فهو يقول:

"ألقي نظرة على نفسك، ولاحظ كيف أنك مربوط بالرغبة في تدليل نفسك، ونفسك فقط. وها أن حريتك قد صارت مقيدة برباطات حب الذات المُعْطَلَّة، ولذلك فأنت تهيم، كجثة مأسورة، من الصباح إلى المساء: "الآن سأشرب". "الآن سأستيقظ". "الآن سأقرأ..." وهكذا تنقاد من لحظة إلى لحظة في أغلال انشغالك بالذات، وإذا اعترضتك عقبة فسرعان ما يشتعل فيك الغم وضيق الصدر والغضب".^(١)

كما يكتب لاحقاً فيقول:

"أن العقبات الخارجية والمعاكسات إنما تقابل فقط ذلك الشخص الذي لم يُسلم مشيئته الخاصة لله – فليس هناك عوائق على الإطلاق عند الله. [...] فالظروف الخارجية يمكن أن تقف في طريق خططي الخاصة ورغباتي الخاصة [...] وعندما يحدث هذا فإني أحزن وأتضايق، أما الشخص الذي قد وجد "الطريق الضيق المؤدي إلى الحياة"، أي المؤدي إلى الله – فهذا ليس أمامه سوى عقبة واحدة معروفة، وهي مشيئته الخاصة والخاصة. فهذا الإنسان إن رغب أن يعمل عملاً ولم يُسمح له بذلك، فكيف يحزن؟ أما باقي الأشياء كلها فهو لا يضع خططاً لها (أنظر ٤: ١٣-١٦)".^(٢)

لقد ترك كل واحد منا العالم ناكراً ذاته لأجل إعطاء حياته كلها لله، ولكن إذا لم نجد تذكراً هذا الهدف في ذهننا كل يوم، فإننا يمكن أن نسقط في الكبرياء بكل سهولة، ومن الممكن حتى أن نصبح عمياناً عن خطايانا.

(١) تيتو كولياندر، طريق النُّسَاك، تعريب د. نصحي عبد الشهيد، بيت التكريس لخدمة الكرازة (القاهرة – الطبعة الرابعة ٢٠٠٨) ص ١٣.

(٢) تيتو كولياندر، طريق النُّسَاك، تعريب د. نصحي عبد الشهيد، بيت التكريس لخدمة الكرازة (القاهرة – الطبعة الرابعة ٢٠٠٨) ص ٢٦، ٢٧.

أعلموا يا أحبائي أنه عندما نتفاوض، فنحن لا نطيع. عندما لا نتفق مع التعليمات، ونقدم وجهة نظر معارضة، وأكثر ملائمة، فنحن لا نطيع. وعندما نتصرف بهذه الطريقة، نكون قد فقدنا حساسيتنا تجاه معنى الطاعة، واخترنا أن نعيش وفقاً لإرادتنا الخاصة دون أن ندرك مدى ما يسببه ذلك من دمار لنموننا الروحي.

في المجامع الرهبانية، من الأفضل دائماً أن نطيع. وسوف يكون هناك دائماً العديد من الطرق للقيام بأي عمل، وبالفعل قد يكون بعض هذه الطرق أكثر ملاءمة لنا، أو أكثر عملية بشكل عام، ولكن صدقوني يا أحبائي، من الأفضل دائماً أن نطيع. إن البركة تأتي من قطع مشيئتنا، ولا تأتي من السعي باستمرار إلى ما هو أكثر إرضاءً لنا.

وبدون الطاعة، لا يمكن أبداً لمجمع رهباني أن يتمتع بأساس قوي، أو أن يكون له نظام ثابت يدوم. كثيراً ما نسمع عبارات: "هذه طريقة دير السريان" أو "هذه طريقة دير الأنبا أنطونيوس"، ذلك لأن هذه الأديرة تأسست على إنكار الذات والطاعة. وإذا ما حاول كل راهب جديد تغيير ما تم بناؤه بالفعل، فإن المبني لن يقوم أبداً.

أبنائي، يجب ألا ننسى أننا تركنا العالم. ويجب ألا نجد أنفسنا ساقطين في تجربة تعظم المعيشة، وفي العيش وفقاً لإرادتنا. يهدف المجمع الرهباني إلى تنقيتنا، وليس لمساعدتنا في العيش في 'بيئة روحية' على نحو مريح كما كنا في العالم.

كن متضعاً، وامثل لما يطلب منك. تدرب على قول كلمة "حاضر" وتوكل على الرب.

"وبعد ذلك فإنك سوف تعتبر كل شيء يحدث لك، كبيراً كان أم صغيراً إنما هو مرسل لك من الله لمسأندتك في حرك. فهو وحده يعرف ما هو ضروري لك وما هو احتياجك في اللحظة الراهنة: محنة أم رخاء، تجارب وسقوط، فليس هناك شيء يحدث صدفة أو يحدث بطريقة لا تتمكنك أن تتعلم منه، فينبغي أن تفهم هذا جيداً في الحال لأنك بهذا تنمو ثققتك في الرب الذي اخترت أن تتبعه".^(٣)

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.